الرفيق ماو تسي تونغ
حول ((الاستعمار و كل الرجعيين نمور من ورق))

هيئة تحرير جريدة ((جينمينجيباو))
(٢٧ تشرين الأول ’’ أكتوبر “ ١٩٥٨)

دار النشر باللغات الأجنبية
بكين ١٩٦٧

الطبعة الأولى .... عام ١٩٥٨
الطبعة الثانية .... عام ١٩٦٥
الطبعة الثالثة مكررة .... عام ١٩٦٧

طبع في جمهورية الصين الشعبية

إن القضية التالية : كيف نتوصل إلى معرفة القوى الثورية و القوى الرجعية معرفة جيدة ، ما تزال قضية كبرى في الصين ، كما في كل مكان من العالم ، و ثمة كثيرون لم يتوصلوا إلى حلها بعد . إن الاستعمار و خدمه في جميع البلدان ، يشبهون الشمس التي تغيب في الغرب ، في حين أن الاشتراكية و الحركات الثورية الوطنية التي تؤيدها البلدان الاشتراكية تشبه الشمس الطالعة من الشرق . هذه هي سمة عصرنا . وقد ولّى إلى غير رجعة الزمن الذي كان فيه المستعمرون يفرضون سيطرتهم الوحشية على هواهم ، و باتوا الآن و هم على شفا الهاوية ، و أصبح لزاما على الرجعيين أن يخافوا القوى الثورية و ليس العكس . على أنه ما يزال ثمة ، في الوقت الحاضر ، عدد من الأشخاص لا يحسبون حساب هذا الواقع ، و يحملون أفكارا خرافية و أوهاما، و ما فتئوا يهابون المستعمرين بشكل عام ، و المستعمرين الأمريكيين بشكل خاص ، و هكذا يظلون سلبيين أمام هذه القضية . فيجب على جميع التقدميين و جميع الماركسيين و الثوريين أن يستخدموا أسلوب الإقناع إزاء هؤلاء الأشخاص ، كيما تصبح الجماهير الشعبية الغفيرة على ثقة و تصميم ثوريين ، و بصيرة و حزم ثوريين . و هذا شرط معنوي لا غنى عنه للتعجيل بالتقدم المظفر لقضية الثورة .

و كثيرا ما علمنا الرفيق ماو تسي تونغ أنه عند نظر قضية ما ، ينبغي الإمساك بجوهرها و عدم التيهان في مظهر ما بسيط لها. و لقد كان الرفيق ماو تسي تونغ ، خلال الثلاثين و نيف من السنوات الماضية ، و في كل مرحلة حاسمة من النضال الطبقي في بلادنا ، يجري دائما تحليلا ثاقبا لحالة النضال مستندا إلى العلم الماركسي – اللينيني ، و يبرهن على أن جميع الرجعيين محكوم عليهم بالفناء ، و أن قضية الثورة مكتوب لها النصر . و قد استعمل تعبير ((النمر من ورق)) ليبيّن أن الاستعمار و جميع القوى الرجعية يبدون أقوياء في الظاهر و لكنهم ضعاف في الواقع ، و استخدم المثل القديم ((بوسع الشرارة أن تشعل النار في السهل كله)) ليدلل على أن القوى النامية تكبر يوما بعد يوم خلال الثورة ، و قد بنى ، على أساس من هذا التقدير ، خططه الاستراتيجية . إن مفهوم الرفيق ماو تسي تونغ القائل ان القوى الثورية لا تقهر ، و ان القوى الرجعية ، القوية مؤقتا ، صائرة إلى الإخفاق ، قد سلح الشيوعيين الصينيين ، و ربى و بعث الشجاعة في الشعب الصيني ، و قادنا إلى انتصاراتنا العظمى . و إن هذا الحكم الثاقب للرفيق ماو تسي تونغ ، القائل ان ((الاستعمار و جميع الرجعيين نمور من ورق)) قد برهن على صحته انتصار الثورة الصينية ، و ما ينفك يبرهن على صحته التطور الظافر لقضية الثورة في الصين و في العالم بأسره .

إن هيئة تحرير مجلة ((شيجيايجيشي)) – قد جمعت مؤخرا ونشرت مقتطفات من مقالات و خطب و أحاديث للرفيق ماو تسي تونغ يدلل فيها باستمرار على أن ((الاستعمار و جميع الرجعيين نمور من ورق)) . إن هذا العمل لذو مغزى سياسي كبير و نفع عميم للشعوب في النضال ضد عدوان و اضطهاد المستعمرين ، و بخاصة المستعمرين الأمريكيين . و ننشر ههنا النصوص التي كانت قد جمعت في هذه المجلة ، مضيفين إليها بعض الوثائق الهامة المتعلقة بها ، و مدخلين بعض التغييرات على شكل و وضع المقاطع .

و تنقسم جملة المقتطفات هذه إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول يبحث في أن الاستعمار و جميع الرجعيين الذين يمثلون القوى المنهارة لا مستقبل لهم البتة ، و أن عنفهم الآني ليس إلا دلالة النزع الأخير . و يظهر القسم الثاني أن الاستعمار و جميع الرجعيين أقوياء في الظاهر ضعفاء في الواقع ، و أن لدى الثوريين كل الأسباب للاستخفاف بهم ، و لكنهم يستحقون منا الاهتمام خلال كافة النضالات المحددة . و يسجل القسم الثالث المميزات الجوهرية للوضع الدولي الراهن الذي تتغلب فيه الريح الشرقية على الريح الغربية ، و تتفوق فيه قوى الاشتراكية على قوى الاستعمار . و مع أن معظم هذه المقالات و الخطب و الأحاديث قد نشر في السابق ، و أن قسما صغيرا منها لم ينشر بعد ، و بالرغم من أنها تمتد إلى عشرين عاما و تبدو على شكل مقتطفات ، فإنها ما تزال تُقرأ كبحث سياسي جديد يؤلف كلا واحدا . و السبب في ذلك أن التناقض الأساسي

بين الاستعمار و خدمه من جهة ، و شعوب جميع البلدان من جهة أخرى ، لم يحل ، أضف الى ذلك أن الاستعمار الأميركي بشكل خاص يكشف عن مخالبه و أنيابه ، و يهدد السلم العالمي بحرب ذرية ، بحيث يجعل الشعوب المضطهدة و المهددة بخطر الحرب ترزح تحت وطأة عذاب نفسي من جراء هذا الوضع المتوتر ، كما يجعلها تطالب بإصرار بحل هذا التناقض . و من الطبيعي إذن أن يهتم القراء بالرأي الذي عرضه الرفيق ماو تسي تونغ حول مسألة معرفة ما إذا كان الأمر يتعلق بنمور من ورق أم لا ، هذه المسألة الأولى و الرئيسية بين العديد من القضايا المتعلقة بحل التناقض المشار إليه .

أشار الرفيق ماو تسي تونغ في كتابه ((الديمقراطية الجديدة)) و هو مُؤَلف ذو أهمية تاريخية نشر في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ ، إلى أن الرأسمالية بلغت مرحلة التفسخ و الموت ، بينما الشيوعية ((تنتشر في العالم بأسره بمثل اندفاع الانهيار و قوة الصاعقة ، مكتسحة جميع الحواجز)):

إن الشيوعية هي نهج ايديولوجي كامل للبروليتاريا ، و نظام اجتماعي جديد معا . و هذا النهج الايديولوجي ، و هذا النظام الاجتماعي ، يختلفان عن كل نهج ايديولوجي ، و كل نظام اجتماعي آخر ، و هما أكثر كمالا ، و أكثر تقدمية ، و أكثر ثورية ، و أكثر مطابقة للعقل في كل تاريخ البشرية . لقد دخل النهج الايديولوجي ، و النظام الاجتماعي ، الإقطاعيان ، متحف التاريخ . و أصبح ، الآن ، النهج الايديولوجي ، و النظام الاجتماعي ، الرأسماليان ، في المتحف أيضا في قسم واحد من العالم (في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية) ، و هما يمثلان ، في البلدان الأخرى ، " شخصا يحتضر و يتلاشى بسرعة ، مثل شمس تغيب وراء الجبال الغربية " ، و سيصبحان صالحين للمتحف قريبا . أما النهج الايديولوجي ، و النظام الاجتماعي ، الشيوعيان ، فإنهما ، فقط ، " ينتشران في العالم بأسره بمثل اندفاع الانهيار و قوة الصاعقة ، مكتسحين جميع الحواجز ، و يزهر ربيعاهما الناضران . "

و أشار الرفيق ماو تسي تونغ في ((الديمقراطية الجديدة)) أيضا ، إلى أن الاهتياج الشرس لجميع الرجعيين الذين يمثلون القوى المنهارة ، يدل على أنهم دخلوا في حشرجة النزع :

إن الهيجانات الشرسة لجميع القوى الظلامية في الداخل و الخارج ، قد أغرقت الأمة في لجة الشقاء ، و لكن هذه الاهتياجات نفسها ، إذا كانت تمثل القوة الباقية لدى القوى الظلامية ، فإنها تبرهن ، من جهة أخرى ، على أنها حشرجاتها الأخيرة أيضا ، و على أن الجماهير تقترب شيئا فشيئا من النصر . هذه هي الحال في الصين ، كما هي في الشرق كله ، و في العالم بأسره .

و قال الرفيق ماو تسي تونغ ، في خطاب ألقاه بمناسبة الاحتفال بإحياء ذكرى شهداء الثورة الصينية في ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ، انه كلما استشرس الرجعيون اقتربوا من نهايتهم :

إن جميع الرجعيين حاولوا إخماد الثورة بمذبحة ، و فكروا أنهم كلما قتلوا الناس أضعفوا الثورة، إلا أن الأمر على العكس مما يأملون ، فالواقع أنهم كلما ذبحوا الناس كبرت قوى الثورة و اقتربوا هم من نهايتهم . و هذا قانون لا يقاوم .

و في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ ، أعلن الرفيق ماو تسي تونغ في اجتماع مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، عند الاحتفال بالذكرى الأربعين لثورة أكتوبر :

أن النظام الاشتراكي سيحل نهائيا محل النظام الرأسمالي . إن هذا قانون موضوعي مستقل عن الإرادة الإنسانية . و مهما يبذل الرجعيون من جهود لمنع عجلة التاريخ من التقدم ، فإن الثورة ستنفجر عاجلا أم آجلا و تفضي إلى النصر بالتأكيد . يقول مثل صيني في وصف عمل بعض الأغبياء : إن هذا " يرفع حجرا ليسقط على قدميه " . و إن الرجعيين في جميع البلدان هم تماما من هؤلاء الأغبياء . إن جميع أنواع الاضطهاد التي يمارسونها إزاء الشعب الثوري لن تستطيع ، في النهاية ، إلا دفع هذا الشعب إلى توسيع و تسعير الثورة . و لنسأل : ألم تلعب ، بصورة تامة ، الاضطهادات العديدة التي مارسها قيصر روسيا و تشيان كاي شيك هذا الدور التحريضي في الثورتين العظيمتين الروسية و الصينية ؟

و في خطاب عنوانه ((نظام دستوري للديمقراطية الجديدة)) ، ألقاه الرفيق ماو تسي تونغ في ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٤٠ في بينآن أمام جمعية التعجيل بقيام نظام دستوري ، دحض دعاية تشيان كاي شيك الكاذبة حول زعمها إقامة نظام دستوري ، و دل على أن الرجعيين ((كانوا دائما ينتهون إلى نتيجة معاكسة للنتيجة التي كانوا يتوقعونها)) :

مع أن جميع المتعنتين في العالم ما زالوا كذلك اليوم ، سيبقون كذلك غدا و بعد غد ، إلا أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بموقفهم هذا الى الأبد ، و في نهاية الأمر ، سيتغيرون . إن وانغ جينغ واي[١]، مثلا ، بقي زمنا طويلا متعنتا ، و لكنه عندما لاحظ أن من المستحيل عليه البقاء كذلك زمنا أطول في معسكر أنصار النضال ضد الغزاة اليابانيين ، لم يسعه إلا ان يرتمي في أحضان اليابانيين . و لنأخذ تشانغ كوه تاو[٢] كمثل آخر ، لقد بقي هو أيضا متعنتا زمنا طويلا ، و لكنه عندما نظمنا عدة اجتماعات للنضال ضده ، و عندما أنبناه مرات ، فرَّ هاربا . و في الأساس ، إن المتعنتين هم اناس معاندون ، و لكنهم بدون صلابة . إنهم يعاندون وقتا طويلا ، و لكنهم ينتهون إلى التبدل : فيصبحون أنذالا مبغضين للانسانية كلها ، أو يتغير بعضهم إلى أحسن مما كانوا أحيانا . و هذا أيضا نتيجة النضال ، نتيجة النضال الطويل ضدهم . إنهم يعودون فيعرفون إذاك أخطاءهم و يتغيرون إلى أحسن مما كانوا . و بكلمة ، ان المتعنتين عرضة للتغيرات . إن لهم دائما سلسلة مخططات من النوع التالي : يحققون ربحا على حساب الغير ، و يلعبون لعبة مزدوجة الخ . . ثم ينتهون دائما ، و ايا كانوا ، إلى نتيجة معاكسة للنتيجة التي كانوا يتوقعونها ، إنهم يبدأون بإلحاق الأذى بالآخرين ، و لكنهم ينتهون إلى تدمير أنفسهم . لقد قلنا في حينه إن تشمبرلن " يرفع الحجر ليسقط على قدميه " ، و هذا ما حدث فعلا . لقد حلم تشمبرلن باستخدام هتلر كحجر يسحق به أقدام الشعب السوفياتي . إلا أن هذا الحجر سقط من يدي تشمبرلن عندما اندلعت الحرب بين ألمانيا من جهة ، و بريطانيا و فرنسا من جهة أخرى في ايلول (سبتمبر) من العام المنصرم ، وسحق قدميه هو ، و سبَّبَ و ما يزال يُسَبب له الألم حتى الآن ، و ثمة كثير من الأمثلة المشابهة في الصين . لقد أراد يوان شي كاي[٣] أن يضرب الشعب ، و لكنه ضرب نفسه : و مات بعد بضعة أشهر من توليه الملك . و أراد توان تشيه جوي و شيوشي تشانغ وتساوو كوان ووويايه فو وآخرون ، سحق الشعب ، و لكن الشعب أطاح بهم نهائيا . إن كل من يبحث عن ربح على حساب الآخرين يكون عرضه للانتهاء نهاية مخزية .

و في ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ ، قدم الرفيق ماو تسي تونغ تقريره السياسي الشهير ((حول حكومة ائتلافية)) إلى المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني . و في القسم الذي يحمل عنوان ((برنامجنا المحدد)) يوجه الرفيق ماو تسي تونغ تحذيرا إلى رجعيي الكومينتان الذي يحاولون القيام خفية بنشاطات ضد الشعب تحت ستار الدعوة إلى ((المجلس الوطني)) و تنبأ بأنهم ، بسبب من تطبيقهم هذه السياسة الرجعية ((يضعون بأنفسهم الأنشوطة في عنقهم)) و يندفعون بأنفسهم نحو هلاكهم . قال الرفيق ماو تسي تونغ :

إن التدابير التي يوشك أبطالنا المعادون للشعب اتخاذها حسب سياستهم في بذر بذور الشقاق ستفضي بهم إلى هلاكهم . إنهم على وشك وضع الأنشوطة في عنقهم و لن تنحل عقدتها عنه قط . و هذه الأنشوطة هي " المجلس الوطني " . إنهم ينوون استخدام هذا الذي يسمى " المجلس الوطني " كعصا سحرية لمعارضة الاقتراح القاضي بقيام حكومة ائتلافية أولا ، و للمحافظة على دكتاتوريتهم ثانيا ، و لإيجاد تبرير لحرب أهلية ثالثا . و مع أن التاريخ بمنطقه يسلك طريقا مغايرة لطريقهم ، فإنهم "يرفعون حجرا سيسقطونه فوق أقدامهم" .

و أشار الرفيق ماو تسي تونغ ، في تعليق ((حول خطر سياسة هرلي)) الذي كتبه لوكالة أنباء شينخوا – الصين الجديدة – في ١٢ تموز (يوليو) ١٩٤٥ ، إلى أن سياسة الولايات المتحدة إزاء الصين قد خلقت خطر حرب أهلية في الصين ، و وجه تحذيرا بأن سياسة الولايات المتحدة ، المعادية للشعب الصيني ، ستغرق حكومة و شعب الولايات المتحدة ((في محن و مصائب لا نهاية لها)) :

حتى على لسان هرلي نفسه ، أصبحت فجاءة حكومة الكومينتان التي يمثلها تشان كاي شيك غادة حسناء ، بينما أصبح الحزب الشيوعي الصيني غولا شمطاء . و يذهب هرلي إلى درجة التصريح بدون مراوغة ان الولايات المتحدة ستتعاون فقط مع تشيان كاي شيك و ليس مع الحزب الشيوعي الصيني . و بالطبع، ان هذا الكلام لا يعبر هنا عن وجهة نظر هرلي الشخصية ، و لكنه يعبر عن وجهة نظر زمرة حكومة الولايات المتحدة ، و انها لوجهة نظر خاطئة و خطرة . . . فإذا ما استمر تطبيق سياسة هرلي هذه ، فإن حكومة الولايات المتحدة ستغور ، بدون أن تستطيع الخروج ، في أعماق بالوعة الرجعية الصينية ، و ستضع نفسها موضع المجابهة لمئات ملايين الصينيين المستيقظين ، أو الذين هم على وشك الاستيقاظ ، و ستصبح عائقا في سبيل الحرب ضد الغزاة اليابانيين في الحاضر ، و عائقا في سبيل السلم العالمي في المستقبل . . . و يبقى ثمة شيء أكيد : إذا كانت سياسة هرلي ، التي تساعد و تشجع القوى المعادية للشعب في الصين على مقاومة أوسع جماهير الشعب الصيني ، ستستمر بدون تغيير ، فإنها ستلقي عبئا ثقيلا على حكومة و شعب الولايات المتحدة ، و ستغرقهما في المحن و المصائب التي لا نهاية لها . و هذه هي النقطة التي يجب أن يعيها بوضوح شعب الولايات المتحدة .

و في الخطاب الختامي الذي ألقاه الرفيق ماو تسي تونغ في المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ، وعنوانه ((كيف نقل الشيخ المعتوه الجبال)) قال :

إن سياسة حكومة الولايات المتحدة القائمة على تأييد تشيان كاي شيك و مجابهة الحزب الشيوعي ، تعكس العنف الجامح للرجعية الأميركية . و لكن جميع خطط الرجعيين ، في الداخل أو الخارج ، لمنع الشعب الصيني من إحراز انتصاره ستصاب بالفشل . إن الديمقراطية في وقتنا الحاضر ، هي التيار الرئيسي في العالم ، و الرجعية قبالة الديمقراطية ليست إلا تيارا مضادا . إن الرجعية تحاول جرف حركة الاستقلال الوطني و الديمقراطية الشعبية ، و لكن هذا التيار المضاد الرجعي لن يستطيع أن يصبح التيار الرئيسي .

إنه لحتم أن الرجعيين سينهارون و أن الثورة ستنتصر . لقد وجه الرفيق ماو تسي تونغ في خطابه الختامي في المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني ، نداء إلى الشعب طالبا إليه أن يكون على ثقة بالانتصار الأكيد للثورة . و قد ضرب مثلا بالأسطورة القديمة ((كيف نقل العجوز المعتوه الجبال)) ليدلل على أن الشعب الثوري ما دام محتفظا بثقته ، و لا يخاف الرجعيين ، و ما دام مصمما على خوض النضال حتى النهاية ، فإن انتصار الثورة مؤكد :

إن الدعاية للخط السياسي للمؤتمر بين الجماهير ، تعطي الحزب كله ، و الشعب كله ، الثقة بأن انتصار الثورة مؤكد . إن علينا ، أولا ، أن نوقظ هذا الوعي لدى القوى الطليعية للثورة لكي تتغلب ، و هي الحازمة في تصميمها و المستعدة للتضحية بالنفس ، على جميع المصاعب في

النضال لأجل النصر . غير أن هذا لا يكفي ، إن علينا أن نوعي الجماهير الشعبية في البلاد بأسرها لكي تنضم إلينا من كل قلبها في النضال المشترك لأجل النصر . إن علينا أن نعطيها الاعتقاد بأن الصين ملك للشعب الصيني و ليست ملكا للرجعيين . لقد عرفت الصين القديمة أسطورة عنوانها " كيف نقل الشيخ المعتوه الجبال " و تروي هذه الأسطورة حكاية أحد الشيوخ في الصين الشمالية في الأزمنة القديمة ، عُرِفَ باسم شيخ الجبل الشمالي المعتوه . كان بيته يتجه إلى الجنوب ، و كانت الطريق المؤدية إلى بابه مسدودة بجبلين شاهقين ، هما جبل تايهانغ و جبل وانغوو . فصمم الشيخ على نقلها بالرفش و قاد أولاده للعمل معه . و كان ثمة عجوز آخر يدعى الشيخ الحكيم ، و قد ضحك و هو يرى جهود الشيخ المعتوه و قال : هل أنتم مجانين لتلقوا بأنفسكم في محاولة كهذه ! إنك لن تتوصل ، و معك أولادك ، إلى نقل هذين الجبلين الهائلين قط ! فأوضح له الشيخ المعتوه : عندما أموت ، فإن أولادي سيواصلون هذا العمل ، و عندما يموتون بدورهم ، سيكون لديهم أولادهم الذين يواصلون العمل و هكذا إلى ما لا نهاية . أما بالنسبة لهذين الجبلين الشامخين الآن ، فلن يستطيعا أن يكبرا أكثر ، بل بالعكس ، سيصبحان ، في كل رفش يرفع منهما، منخفضين أكثر فأكثر ، فلماذا لا نتوصل إلى نقلهما ؟ و على هذا النحو دحض وجهة نظر الشيخ الحكيم الخاطئة ، و أكمل بإصرار الحفر يوما بعد يوم . و انتهت مثابرته إلى تأثر الـه السماء الذي أرسل ملاكين سماويين لنقل الجبلين على ظهريهما . و اليوم ثمة جبلان ضخمان يربضان بثقلهما على صدر الشعب الصيني هما : الاستعمار و الإقطاعية . و قد اعتزم الحزب الشيوعي الصيني ، منذ زمن طويل ، إزالتهما . إن علينا أن نثابر و أن نعمل بدون توقف . و نحن أيضا نستطيع ملامسة قلب اله السماء ، و هذا الاله ليس إلا جماهير الشعب الصيني ، فإذا ما هبت هذه الجماهير كلها و حفرت معنا فلمَ لا نستطيع أن نزيل هذين الجبلين ؟

و في تعليق الرفيق ماو تسي تونغ : ((اطرحوا أوهامكم و استعدوا للنضال)) الذي كتبه لوكالة أنباء شينخوا – الصين الجديدة – في ١٤ آب (أغسطس) ١٩٤٩ ، حلل تحليلا ثاقبا جدا المنطقين المختلفين تماما ، اللذين يسودان تطور القوى الرجعية و القوى الشعبية ، و قال إن على هؤلاء الذين هم تقدميون أن ينظموا القوى للنضال ضد الرجعيين ، و أن يثقفوا ، و يوحدوا ، و يكسبوا إلى جانبهم ، جميع الذين ما زالوا متذبذبين و مترددين بغية عزل الرجعيين عزلا تاما :

إن منطق المستعمرين يختلف عن منطق الشعب على النحو التالي : إثارة القلاقل ، فشل ، إثارة جديدة ، فشل جديد ، حتى يصلوا إلى الفناء – هذا هو منطق المستعمرين و جميع الرجعيين في العالم إزاء قضية الشعب . و لا شيء يجعلهم يعملون بعكس هذا المنطق . إنه قانون ماركسي . و نحن نقول " إن الاستعمار ذو شراسة وحشية " ، أي ان طبيعته الأصلية لا يمكن أن تتغير ، ان العناصر الاستعمارية حتى ساعة انهيارها الكامل ، لن تلقى قط سكين الجزار ، و لن تصبح قط من آلهة للرحمة .

نضال ، لا نجاح ، نضال جديد ، لا نجاح جديد ، نضال جديد ، و في النهاية ، إحراز النصر – هذا هو منطق الشعب . و هو لن يعمل بعكس هذا المنطق أيضا . و هذا قانون ماركسي آخر . إن ثورة الشعب الروسي قد قامت على أساس هذا القانون ، و إن ثورة الشعب الصيني قد قامت على أساس هذا القانون أيضا .

ففي النضال الطبقي تنتصر بعض الطبقات و يندحر بعضها الآخر . هذا هو التاريخ . هذا تاريخ عدة آلاف من سني الحضارة. إن تفسير التاريخ من وجهة النظر هذه يسمى المادية التاريخية ، و تسمى وجهة النظر المعاكسة المثالية التاريخية .

إن أسلوب الانتقاد الذاتي لا يمكن أن يكون مطبقا إلا بين الشعب . و لا جدوى من الأمل في إمكان إقناع المستعمرين و الرجعيين الصينيين بغية جعلهم طيبي القلب و تائبين ، بل الوسيلة الوحيدة هي تنظيم القوى للنضال ضدهم ، كما فعلنا في حربنا التحريرية الشعبية مثلا ، و ثورتنا الزراعية ، وجودنا لكشف قناع المستعمرين ، و " إثارتهم " و سحقهم ، و معاقبتهم على أعمالهم الإجرامية ، أما تدابيرنا فهي " عدم السماح لهم بالتحرك إلا في حدود معينة ، كي لا ندعهم

يتجاوزون هذه الحدود لا في أعمالهم و لا في أقوالهم " . و على هذا النحو فحسب ، يمكن للمرء أن يأمل بالتعامل مع البلدان الاستعمارية الأجنبية على أساس المساواة و الفائدة المتبادلة . و على هذا النحو فحسب يمكن للمرء أن يأمل بتثقيف – و الغاية من التثقيف تحويل الأشرار إلى صالحين – عناصر طبقة الملاكين العقاريين و البورجوازية البيروقراطية و أعضاء طغمة الكومينتان الرجعية مع شركائهم ، هؤلاء الذين جردوا من السلاح و استسلموا و تحولوا ، بقدر الإمكان ، إلى عناصر صالحة . إن العديد من العناصر الليبرالية الصينية ، أي العناصر الديمقراطية من طراز قديم ، المؤيدة لما يسمى " الفردية الديمقراطية " ، و التي يعلق عليها ترومن ، و مارشال ، و اتشيسون ، و ليغتون ستيوارت آمالهم ، و يجهدون دائما لاكتسابها ، تنحط غالبا في السلبية و تقدر القضايا من وجهة نظر خاطئة ، و تحمل ، غالبا ، فكرة خاطئة عن المسئولين الأميركيين و الكومينتان و الاتحاد السوفياتي و أيضا الحزب الشيوعي الصيني . ذلك لأنها لم تستخدم أسلوب المادية التاريخية ، أو حتى أنها ضد استخدامه في تقدير القضايا .

و يجب على العناصر الطليعية و الشيوعيين و الأحزاب و الهيئات الديمقراطية كلها ، و العمال الواعين ، و الشبيبة الطلابية و المثقفين التقدميين ، توحيد الفئات المتوسطة ، و العناصر الواقفة في منتصف الطريق ، و العناصر المتأخرة من جميع الفئات ، و جميع الذين ما زالوا متذبذبين و مترددين في الصين الشعبية (هؤلاء سيتابعون التذبذب وقتا طويلا ، و سيتذبذبون أيضا بعد أن يكونوا ثابتين ، و يتذبذبون كلما وجدوا أنفسهم أمام صعوبة أيا كانت) ، و مساعدتهم بحسن نية ، و انتقاد ترددهم ، و تثقيفهم و جذبهم نحو جماهير الشعب ، و عدم السماح للاستعمار في أن يجرهم إلى جانبه ، و مطالبهم بأن يطرحوا أوهامهم جانبا و أن يتهيأوا للنضال . و يجب ألا نعتقد أنه ليس ثمة أي عمل بعد النصر . ذلك أن علينا أن نعمل أيضا ، و أن نعمل كثيرا جدا و بصبر قبل أن يكون في مقدورنا كسب هذه العناصر . و في الوقت الذي نكسب فيه هذه العناصر سيصبح الاستعمار معزولا عزلا تاما ، و لن تكون لأتشيسون أية فرصة لاستخدام كل ما عنده من حيل .

– ٢ –

حلل الرفيق ماو تسي تونغ ، في المقال الافتتاحي ((الانعطاف في الحرب العالمية الثانية)) الذي كتبه لصحيفة ((جيبفان جيباو)) – جريدة التحرير اليومية – في يينآن في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٢ ، الطابع الجوهري للقوى الرجعية التي تبدو قوية ظاهريا ، و لكنها ضعيفة واقعيا، و ذكر الشعب الثوري بأن عليه ألا يدع نفسه ينخدع بهذه الظاهرة السطحية . و قد كتب :

في تاريخ البشرية ، تستخدم أبدا القوى الرجعية التي هي على وشك التلاشي جميع قواتها لتوجيه ضربة ، في انتفاضة النزع ، إلى القوى الثورية ، و كثيرا ما يدع بعض الثوريين ، أنفسهم ينخدعون وقتا ما بعرض القوى هذا الذي يستر الضعف الواقعي بقناع ، و لا يدركون النقطة الجوهرية و هي معرفة أن عدوهم يقترب من نهايته ، بينما يقتربون هم من النصر . إن صعود القوى الفاشية ، و كذلك الحرب العدوانية التي شنتها خلال بضع سنين ، هو ، بالضبط ، مثال على الضربة الموجهة أثناء انتفاضة النزع ، بينما ان انتفاضة النزع هذه ، في الحرب ، قد تمثلت في الهجوم على ستالينغراد . و في هذا الانعطاف التاريخي، فإن كثيرا من الناس ، في الجبهة العالمية المعادية للفاشية ، قد خُدِعوا بالمظهر الشرس للفاشية ، و لم يروا جوهرها الحقيقي .

و يتباهى الرجعيون دائما بقواتهم المسلحة التي تبدو قوية ظاهريا ، و ثمة بين الشعب نفسه أيضا بعض من الناس يخالجهم ، على درجات متفاوتة ، بعض الخوف أمام قوة الرجعيين العسكرية ، و هذه هي ((نظرية القدرة

الكلية للسلاح)) و قد انتقد الرفيق ماو تسي تونغ في مقاله المعروف جيدا ((الحرب الطويلة الأمد)) الذي كتبه في أيار (مايو) ١٩٣٨ ، انتقادا لاذعا وجهة النظر هذه :

. . . إن ما يسمى " نظرية القدرة الكلية للسلاح " هي نظرية ميكانيكية ، مطبقة في قضايا الحرب ، و وجهة نظر ذاتية وحيدة الطرف . أما نحن فإن لنا وجهة نظر مغايرة تقدر ، ليس السلاح فقط ، بل الناس أيضا . إن السلاح هو عامل مهم ، و لكن ليس حاسما في الحرب . إن السلاح هو عامل مهم ، و لكن ليس حاسما في الحرب . إن العامل الحاسم هو الإنسان و ليس المادة . إن نسبة القوى تتحد ليس بنسبة القدرة العسكرية و الاقتصادية فقط ، و لكن بنسبة الموارد الإنسانية و المعنوية . و لا بد من الناس لإدارة القوى العسكرية و الاقتصادية .

و في آب (أغسطس) ١٩٤٦ ، منح في يينآن الرفيق ماو تسي تونغ للصحفية الأميركية انا لويس سترونغ مقابلة صحفية عبّرَ فيها عن وجهة نظره المشهورة ، و القائلة ان جميع الرجعيين نمور من ورق ، و فيما يلي النص الكامل لهذه المقابلة الصحفية :

سؤال انا لويس سترونغ – هل تظنون أن ثمة أملا بتسوية سياسية سلمية للمسألة الصينية في مستقبل قريب ؟

جواب ماو تسي تونغ – هذا رهن بموقف حكومة الولايات المتحدة . فإذا ما توصل الشعب الأميركي إلى غل أيدي الرجعيين الأميركيين الذي يساعدون تشيان كاي شيك على شن الحرب الأهلية ، فإن ثمة أملا في السلم .

سؤال – على افتراض أن الولايات المتحدة لم تقدم مساعدة أخرى لتشيان كاي شيك ، إلى جانب ما قدمته فعلا ، فكم من الوقت يستطيع تشيان كاي شيك مواصلة الحرب ؟

جواب – أكثر من سنة .

سؤال – هل يستطيع تشيان كاي شيك أن يثبت وقتا طويلا كهذا من الناحية الاقتصادية ؟

جواب – نعم ، هذا ممكن .

سؤال – و ماذا يحدث لو أن الولايات المتحدة أعلنت بصراحة عزمها على عدم مساعدة تشيان كاي شيك بعد الآن ؟

جواب – حتى الوقت الحاضر لم تبدِ حكومة الولايات المتحدة ، و لم يظهر تشيان كاي شيك ، بعد ، أي رغبة في وقف الحرب قريبا .

سؤال – كم من الوقت يستطيع الحزب الشيوعي مواصلة النضال ؟

جواب – إذا كان يجب الكلام عما نريد ، فإننا لا نريد القيام بالحرب و لا ليوم واحد ، و لكن إذا أرغمتنا الظروف على القتال ، فإننا قادرون على النضال حتى النهاية .

سؤال – لنفرض أن الشعب الأميركي سأل : لماذا يحارب الحزب الشيوعي ، فبماذا علي أن أجيب ؟

جواب – لأن تشيان كاي شيك يريد تذبيح الشعب الصيني ، و أن على الشعب الصيني أن يدافع عن نفسه إذا أراد البقاء . إن الشعب الأميركي يستطيع أن يفهم هذا جيدا .

سؤال – هل ثمة ، في رأيكم ، احتمال بأن تشن الولايات المتحدة حربا ضد الاتحاد السوفياتي ؟

جواب – إن الدعاية في موضوع حرب ضد الاتحاد السوفياتي ذات وجهين : فالاستعمار الأميركي ، من ناحية ، يحضر فعلا لحرب ضد الاتحاد السوفياتي و الدعاية الجارية فيما يتعلق بحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، و الدعايات الأخرى ضده ، تشكل تحضيرا سياسيا لحرب ضد الاتحاد السوفياتي . و من ناحية أخرى ، فإن هذه الدعاية هي ستار من الدخان يخفي الرجعيون الأميركيون وراءه العديد من التناقضات الفعلية التي يواجهها الاستعمار الأميركي مباشرة الآن ، و هي التناقضات بين رجعيي الولايات المتحدة و الشعب الأميركي ، و التناقضات بين الاستعمار الأميركي و بين البلدان الرأسمالية الأخرى و المستعمرات و أشباه المستعمرات . و في الوقت الحاضر ، فإن شعار الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، الذي تطرحه الولايات المتحدة ، يعني ، في الواقع ، اضطهاد الشعب الأميركي و نشر القوى العدوانية للولايات المتحدة في العالم الرأسمالي.

و كما تعلمين ، ان هتلر و شركاءه العسكريين اليابانيين ، قد استخدموا شعار معاداة الاتحاد السوفياتي زمنا طويلا كذريعة لاستعباد الشعب في بلدانهم ، و للعدوان على البلدان الأخرى . و الرجعيون الأميركيون يفعلون الآن الشيء نفسه بالضبط .

فلكي يشن رجعيو الولايات المتحدة حربا فإن عليهم ، أولا ، أن يقوموا بهجوم على الشعب الأميركي . و قد شرعوا الآن بمهاجمة الشعب الأميركي . إنهم يمارسون اضطهادهم على العمال و على العناصر الديمقراطية الأميركية ، إن من الناحية السياسية أو من الناحية الاقتصادية ، و هم يتهيأون لفرض الفاشية في الولايات المتحدة ، و على الشعب الأميركي أن ينهض لمقاومة هجمات الرجعيين الأميركيين ، و أعتقد أنه سيفعل هذا .

و تمتد ، بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتي ، مسافة واسعة من الأرض تضم عددا من البلدان الرأسمالية و عددا من المستعمرات و أشباه المستعمرات تقوم على بر أوربا و آسيا و أفريقيا . و قبل أن يُخضع رجعيو الولايات المتحدة هذه البلدان لسيطرتهم ، فإن مهاجمة الاتحاد السوفياتي أمر خارج عن الموضوع . إن الولايات المتحدة تسيطر الآن ، في مناطق الباسيفيكي، على مناطق أوسع من جميع مناطق النفوذ البريطانية القديمة . إنها تسيطر على اليابان ، و الصين التي يحكمها الكومينتان ، و نصف كوريا و جنوبي الباسيفيكي ، و تمارس منذ وقت طويل السيطرة على أميركا الوسطى و أميركا الجنوبية ، و تسعى أيضا للسيطرة على الأمبراطورية البريطانية بأسرها و على أوربا الغربية . و تقوم الولايات المتحدة ، متذرعة بذرائع مختلفة ، بالاستعدادات العسكرية على نطاق واسع ، و تنشيء القواعد العسكرية في بلدان عديدة . إن جميع القواعد العسكرية التي أنشأتها و التي تستعد لإنشائها في أنحاء العالم هي ، حسب أقوال الرجعيين الأميركيين ، موجهة ضد الاتحاد السوفياتي . و من المؤكد جدا أنها موجهة ضد الاتحاد السوفياتي ، و لكن ، في الوقت الحاضر ، ليس الاتحاد السوفياتي بل البلدان التي أنشئت فيها القواعد العسكرية هي التي تعاني وطأة عدوان الولايات المتحدة قبل غيرها ، و أعتقد أنه لن يمضي وقت طويل حتى تتحقق هذه البلدان من هو ، واقعا ، الذي يضطهدها : الاتحاد السوفياتي أم الولايات المتحدة . إن الرجعيين الأميركيين سينتهون إلى يوم يرون فيه أنفسهم عرضة لمقاومة شعوب العالم بأسره .

و إنني ، بالطبع ، لا أقصد أن رجعيي الولايات المتحدة لا ينوون مهاجمة الاتحاد السوفياتي . إن الاتحاد السوفياتي هو المدافع عن السلم العالمي ، و العامل القوي الذي يحول بين الرجعيين الأميركيين و بين السيطرة على العالم . فبوجود الاتحاد السوفياتي لا يمكن قط تحقيق مطامع رجعيي الولايات المتحدة و العالم بأسره . و لهذا فإن رجعيي الولايات المتحدة يضمرون حقد شديدا على الاتحاد السوفياتي و يحلمون فعلا بالقضاء على هذا البلد الاشتراكي . و لكن اليوم ، و لما يمض سوى وقت قليل على نهاية الحرب العالمية الثانية ، فإن كل هذه الضجة التي يثيرها الرجعيون الأميركيون حول موضوع الحرب بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتي ، و الجو الوخيم الذي يخلقونه ، لا بد أن يجعلا الناس يرون أهداف هؤلاء الرجعيين الحقيقية . و يبدو أنهم تحت ستار شعار معاداة الاتحاد السوفياتي الذي يرفعونه ، يشنون الهجمات الوحشية ضد العمال و العناصر الديمقراطية الأميركية ، و يحولون جميع البلدان جميع البلدان التي تشكل أهدافا لتوسع الولايات المتحدة الى توابع لها . وأرى أن على الشعب الأميركي و شعوب جميع البلدان المهددة بالعدوان من قبل الولايات المتحدة أن تتحد لصد هجمات الرجعيين الأميركيين و خدمهم في مختلف البلدان ، لأن الانتصار الذي يحرز في هذا النضال هو وحده الذي سيحول دون حرب عالمية ثالثة ، و إلا فلا يمكن تجنب هذه الحرب .

سؤال – هذا إيضاح جيد جدا . و لكن هل تفترضون أن الولايات المتحدة تستخدم القنبلة الذرية؟ و هل تفترضون أن الولايات المتحدة تطلق القنابل على الاتحاد السوفياتي من قواعدها في ايسلاندا و أوكيناوا و الصين ؟

جواب – القنبلة الذرية نمر من ورق ، يستخدمه رجعيو الولايات المتحدة لإخافة الناس . إنها تبدو مرعبة . و لكنها ، في الواقع، ليست كذلك . أكيدا ، إن القنبلة الذرية هي سلاح إبادة بالجملة، و لكن الشعب هو الذي يقرر مصير حرب ما ، و ليس واحد أو اثنان من الأسلحة الجديدة .

إن كل الرجعيين نمور من ورق . إنهم ، في المظهر ، مخيفون ، و لكن قوتهم ، في الواقع ، ليست رهيبة بهذا المقدار . و إذا استرشدنا بوجهة نظر المستقبل ، فالقوة القادرة حقا ليست ملك الرجعيين بل هي تكمن في الشعب . ففي روسيا ، قبل ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، أية جهة كانت قوية حقا في داخل البلاد الروسية ؟ ظاهريا ، كان القيصر قويا في ذلك الوقت ، و لكنه تداعى أمام قصفة واحدة من عاصفة ثورة شباط (فبراير) . و في آخر الأمر ، كانت قوة روسيا في جانب سوفيات العمال و الفلاحين و الجنود ، و لم يكن القيصر إلا نمرا من ورق . أوَ لم يُعتَبر هتلر قويا جدا في يوم من الأيام ؟ و لكن التاريخ برهن على أنه كان نمرا من ورق ، و كذلك الحال بالنسبة لموسوليني و الاستعمار الياباني ، أما الاتحاد السوفياتي و الشعوب الشغوفة بالديمقراطية و الحرية في جميع البلدان فإنها ، على العكس ، أقوى بكثير مما يظن .

إن تشان كاي شيك و رجعيي الولايات المتحدة الذين يساندونه ، هم أيضا نمور من ورق . و في الحديث عن الاستعمار الأميركي ثمة أناس يخيل إليهم أن هذا الاستعمار قوي إلى أقصى حد ، و يستخدم الرجعيون الصينيون ‘‘ قوة ’’ الولايات المتحدة هذه لإخافة الشعب الصيني ، غير أنه سيتضح أن رجعيي الولايات المتحدة ، شأنهم شأن جميع الرجعيين في التاريخ ، ليسوا أقوياء إلى هذا الحد . إن الذين لديهم القوة فعلا في الولايات المتحدة هم أناس من نوع آخر ، إنهم الشعب الأميركي .

خذي ، مثلا ، الوضع في الصين . إننا لا نعتمد إلا على الدخن و البنادق ، و لكن التاريخ سيبرهن ، في النهاية ، على أن هذا الدخن و هذه البنادق ستكون أقوى من طائرات و دبابات تشيان كاي شيك . و مع أن الشعب الصيني مازال يواجه كثيرا من المصاعب ، و بالرغم من أن عليه أن يتوقع ، لفترة طويلة ، الآلام من جراء الهجمات المشتركة من الاستعمار الأميركي و الرجعيين الصينيين ، فسيأتي يوم ينحدر فيه هؤلاء الرجعيون و ننتصر نحن . و السبب في هذا واحد فقط ، هو أن الرجعيين هؤلاء يمثلون الرجعى ، بينما نمثل نحن التقدم .

وفي ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، أعلن الرفيق ماو تسي تونغ في تقرير حول ((الوضع الراهن و مهماتنا)) في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني :

ان الحزب الشيوعي الصيني لمقتنع ، في ضوء دراسة الوضع الدولي و الداخلي دراسة واضحة على أسس العلم الماركسي – اللينيني ، بأن هجمات جميع الرجعيين ، سواء في الداخل أو الخارج ، ليس يجب سحقها فقط ، بل من الممكن سحقها أيضا . فحينما كانت السماء محجوبة بالغيوم السود أشرنا إلى أن هذه الظلمات ليست إلا ظلمات مؤقتة ، إن العتمة ستنقشع بسرعة و يبدو ضوء النهار ساطعا على الفور . و عندما شن تشيان كاي شيك و عصابته الحرب المعادية للثورة على النطاق الوطني في تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، كانوا يظنون أن ثلاثة إلى ستة أشهر فحسب تكفي للإجهاز على جيش التحرير الشعبي . لقد كانوا يقدرون أنه ، بجيش نظامي مؤلف من مليوني شخص ، و بأكثر من مليون شخص غير نظامي ، و بمليون آخر في المؤسسات العسكرية و الوحدات العسكرية في المؤخرة ، قد كان لديهم ، من حيث المجموع ، قوة مسلحة تعد أكثر من أربعة ملايين شخص، و أنهم خصصوا الوقت الكافي لإتمام استعداداتهم الهجومية . و سيطروا على المدن الكبيرة من جديد ، و أن المناطق الواقعة تحت سيطرتهم تضم من السكان أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة ، و أنهم وضعوا أيديهم على تجهيزات نحو من مليون شخص من الغزاة اليابانيين ، و تلقوا مساعدة عسكرية و مالية ضخمة من حكومة الولايات المتحدة . و كانوا، فضلا عن ذلك ، يظنون أن جيش التحرير الشعبي الذي أنهك خلال السنوات الثماني من الحرب ضد الغزاة اليابانيين ، هو أدنى كثيرا من حيث العدد و المعدات ، من جيش الكومينتان ،

و أن عـدد سـكان المنـاطق المحـررة يكـاد لا يتجـاوز ال ١٠٠ مليـون نـسمة * ، و أن القـوى الإقطاعية الرجعية ، في معظم هذه المناطق ، لم تكن قد صفيت أيضا ، و أن الإصلاح الزراعي لم يكن قد نفذ في كل مكان بصورة تامة ، و هذا يعني أن مؤخرة جيش التحرير الشعبي ليست وطيدة بعد . و انطلاقا من هذا التقدير ، و برغم تطلع الشعب الصيني إلى السلم ، فإن تشيان كاي شيك و عصابته ، نقضا نهائيا اتفاق وقف إطلاق النار المعقود بين الكومينتان و الحزب الشيوعي في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ، كما نقضا القرارات المتخذة في المؤتمر الاستشاري السياسي لجميع الأحزاب و الهيئات السياسية ، و شنا حرب مغامرة . لقد قلنا وقتذاك ان التفوق العسكري لتشيان كاي شيك ليس إلا تفوقا مؤقتا ، و انه ليس إلا عاملا يلعب دورا مؤقتا ، و ان مساعدة الاستعمار الأميركي عامل لا يمكن أن يسفر إلا عن نتائج مؤقتة كذلك ، و ان الطابع المعادي للشعب في الحرب التي شنها تشيان كاي شيك و تأييد أو معارضة الشعب هي العوامل ذات النتائج الثابتة ، و على هذا فإن التفوق هو لجيش التحرير الشعبي . إن الحرب التي يخوضها جيش التحرير الشعبي ، من حيث طبيعتها الوطنية ، العادلة و الثورية ، لا بد حتما أن تلقى تأييد الشعب في البلاد بأسرها ، و هذا هو الأساس السياسي للنصر على تشيان كاي شيك ، وقد أكدت تجربتنا خلال ثمانية عشر شهرا من الحرب هذا الحكم تأكيدا تاما .

. . . .

إن طغمة تشيان كاي شيك الرجعية قد خاطرت بشن حرب أهلية ضد الشعب على نطاق الوطني في عام ١٩٤٦ ، لأنها كانت تتكل ليس على تفوقها العسكري فحسب ، و لكن أيضا ، و فوق كل شيء ، على ما كانت تعتبره القوة " الأكثر قدرة " و الشيء الذي " لا صنو له " في العالم ، و هو الاستعمار الأميركي الذي يمتلك القنبلة الذرية . لقد ظنت ، من جهة ، أنه سيؤمن حاجاتها العسكرية و المالية بشكل موجات متلاحقة ، مستمرة ، و تعللت سدى ، من جهة أخرى ، بحلم أخرق في " حرب حتمية بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتي " و ب " نشوب حتمي لحرب عالمية ثالثة " . إن الاتكال على الاستعمار الأميركي على هذا النحو هو الطابع المشترك للقوى الرجعية في جميع بلدان العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . إنه انعكاس للضربة الخطيرة التي تلقتها الرأسمالية العالمية نتيجة الحرب العالمية الثانية ، و انعكاس لضعف القوى الرجعية في جميع البلدان و خوفها و فقدان ثقتها ، و انعكاس للقوة الكبرى للقوى الثورية العالمية، الأمر الذي جعل الرجعيين في جميع البلدان يشعرون أنه ليس من مخرج بسوى الاتكال على مساعدة الاستعمار الأميركي . و لكن هل ان الاستعمار الاميركي بعد الحرب هو قوي في الواقع بالشكل الذي يتصوره تشيان كاي شيك و رجعيو البلدان الأخرى ؟ و هل يستطيع حقا أن يرسل إليهم فيضا دائما من الإمدادات ؟ لا شيء من ذلك . إن القوة الاقتصادية للاستعمار الأميركي التي ازدادت خلال الحرب العالمية الثانية تواجه الآن أسواقا داخلية و خارجية غير ثابتة و متقلصة أكثر فأكثر . و إن تقلصا أكثر ضغطا من قبل هذه الأسواق سيقود إلى أزمة اقتصادية . أما ازدهار زمن الحرب الذي تمتعت به الولايات المتحدة فليس إلا ظاهرة مؤقتة ، و إن قوتها ليست إلا ظاهرية و مؤقتة ، و إن مختلف التناقضات الداخلية و الخارجية التي لا سبيل إلى التغلب عليها تهدد كل يوم الاستعمار الأميركي مثل بركان ، و إن الاستعمار الأميركي ليجلس تماما فوق البركان . و تحت وطأة هذا الوضع ، رسم المستعمرون الأميركيون مخططهم لاستعباد العالم ، و اندفعوا ، مثل حيوانات مفترسة ، في أوربا و آسيا و البقاع الأخرى ، و جمعوا القوى الرجعية لجميع البلدان – حثالة المجتمع التي نبذها الشعب – و نظموا معسكرا استعماريا و معاديا للديمقراطية لمناوأة جميع القوى الديمقراطية التي يقف الاتحاد السوفياتي على رأسها ، و لتحضير الحرب ، أملا منهم بأن يأتي يوم ، في المستقبل البعيد ، يستطيعون فيه شن حرب عالمية ثالثة و دحر القوى الديمقراطية . إن هذا مخطط أخرق و على جميع القوى الديمقراطية

في العالم إجهاض هذا المخطط و هي تستطيع ذلك بالتأكيد . إن قوة المعسكر العالمي المعادي للاستعمار تفوق قوة المعسكر الاستعماري . إننا نحن الذين نتمتع بالتفوق و ليس العدو .

و في مقال ((القوى الثورية في العالم تتحد لمقاومة العدوان الاستعماري)) الذي كتبه في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ للجريدة الدورية ((في سبيل سلم دائم ، في سبيل ديمقراطية شعبية)) أشار الرفيق ماو تسي تونغ إلى أنه ((من الخطأ الفاحش تقدير قوة العدو بأكثر مما هي ، و تقدير قوة الثورة بأقل مما هي)) :

بعد النصر في الحرب العالمية الثانية ، أخذ الاستعمار الأميركي ، الذي حل محل دول ألمانيا و ايطاليا و اليابان الفاشية ، مع أذنابه في مختلف البلدان ، يستعد بشكل جنوني لحرب عالمية جديدة، و يهدد العالم بأسره . إن هذا يعكس الانحطاط البالغ للعالم الرأسمالي ، و ذعره أمام الفناء الوشيك الوقوع . إن هذا العدو ما زال قويا ، و لهذا فإن على جميع القوى الثورية في كل بلد ، و على القوى الثورية لجميع البلدان ، أن تتحد ، و يجب أن تتألف جبهة معادية للاستعمار و موحدة، يكون على رأسها الاتحاد السوفياتي و تتبع سياسة صحيحة ، و إلا فلا يمكن إحراز النصر . إن أساس العدو ضعيف . إنه يتفكك داخليا ، و ينفصل عن الشعب ، و يواجه أزمة اقتصادية لا مخرج منها ، و لذلك فإن من الممكن دحره . و إنه لخطأ فاحش تقدير قوة العدو بأكثر مما هي ، و تقدير قوة الثورة بأقل مما هي .

و في مقاله التوجيهي ((حول بعض المسائل الهامة في سياسة الحزب الراهنة)) الذي كتبه في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لتعميمه على الحزب ، علمنا الرفيق ماو تسي تونغ ، انه ككل ، و من وجهة النظر الاستراتيجية ، علينا أن نزدري العدو ، بينما علينا ، في الوقت نفسه ، أن نتمسك بفن النضال ، أما فيما يخص كل قسم مأخوذ بذاته ، و في كل نضال معين ، فإن علينا أن نحسب حساب العدو بصورة كاملة :

إننا نعارض تقدير قوة العدو بأكثر مما هي . مثلا ، الخوف من الاستعمار الأميركي ، الخوف من الذهاب للقتال في المناطق التي يشرف عليها الكومينتان ، الخوف من إلغاء النظام الإقطاعي الكومبرادوري و الشروع بالتوزيع العادل لأراضي الملاكين العقاريين و مصادرة الرأسمال البيروقراطي ، الخوف من الحرب الطويلة الأمد الخ . . كل هذه الأمور ليست صحيحة . إن الاستعمار ، في كل مكان من العالم ، و حكم طغمة تشيان كاي شيك الرجعية في الصين ، هما الآن في حالة تفسخ ، و لا مستقبل لهما ، و لدينا أسباب لازدرائهما . إننا مفعمون ثقة و قادرون تماما على دحر جميع أعداء الشعب الصيني في الداخل و في الخارج ، و لكن فيما يخص كل قسم مأخوذ بذاته و في كل قضية من نضال معين (سواء أ كان عسكريا أم سياسيا أم اقتصاديا أم ايديولوجيا) فإن علينا ألا نزدري العدو . بل بالعكس ، علينا أن نحسب حسابه بصورة كاملة ، و نركز جهودنا كلها في النضال . على هذا النحو فحسب نستطيع إحراز النصر . و نحن إذ نلاحظ بصورة صحيحة أن علينا أن نزدري العدو ككل ، و من وجهة النظر الاستراتيجية ، فإن علينا ألا نستخف به قط فيما يخص كل قسم مأخوذ بذاته و في كل مسألة من نضال معين . فإذا قدرنا قوة العدو ، ككل ، بأكثر مما هي ، و بالتالي ، لم نجرأ على الإطاحة به و إحراز النصر ، نرتكب خطأ الانتهازية اليمينية ، و إذا لم نكن حذرين ، فيما يخص كل قسم مأخوذ بذاته و في كل قضية من نضال معين (سواء أ كان عسكريا أم سياسيا أم اقتصاديا أم ايديولوجيا) فإن علينا ألا نزدري العدو . بل بالعكس ، علينا أن نحسب حسابه بصورة كاملة ، و نركز جودنا كلها في النضال . على هذا النحو فحسب نستطيع إحراز النصر . و نحن إذ نلاحظ بصورة صحيحة أن علينا أن نزدري العدو ككل ، و من وجهة النظر الاستراتيجية ، فإن علينا ألا نستخف به قط فيما يخص كل قسم مأخوذ بذاته و في كل مسألة من نضال معين . فإذا قدرنا قوة العدو ، ككل ، بأكثر مما هي ، و بالتالي ، لم نجرأ على الإطاحة به و إحراز النصر ، نرتكب خطأ الانتهازية اليمينية ، و إذا لم نكن حذرين ، فيما يخص كل قسم مأخوذ بذاته ، و في كل مسألة من نضال معين ، و لا

منتبهين إلى فن النضال ، و إذا لم نركز كل جهودنا في النضال و لم نتمسك بكسب جميع الحلفاء الممكن اكتسابهم (الفلاحون المتوسطون ، الصناعيون و التجار المستقلون ، البورجوازية المتوسطة ، الطلاب ، المدرسون ، الأساتذة و المثقفون عموما ، الموظفون عموما ، أعضاء المهن الحرة ، الوجهاء المستنيرون) فإننا نرتكب خطأ الانتهازية " اليسارية " .

و أعلن الرفيق ماو تسي تونغ ، في الخطاب الذي ألقاه في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ في مؤتمر ممثلي الأحزاب الشيوعية و أحزاب العمال في البلدان المختلفة المنعقد في موسكو :

عندما هاجمنا تشيان كاي شيك عام ١٩٤٦ ، قلق الكثير من رفاقنا ، كما قلق الشعب في البلاد كلها ، و تساءلوا : هل نستطيع أن نكسب الحرب ؟ و كنت أنا أيضا مشغول البال بهذا الشأن . و لكننا كنا على ثقة . و قد جاءت صحفية أميركية هي أنا لويس سترونغ إلى ينآن في هذا الوقت . و خلال أحاديثنا تناولنا كثيرا من المسائل ، بما فيها تشيان كاي شيك و هتلر و اليابان و الولايات المتحدة و القنبلة الذرية الخ . . و قد قلت آنئذ ان جميع الرجعيين المشهورين بأنهم أقوياء ليسوا في الواقع إلا نمورا من ورق ، بسبب من أنهم معزولون عن الشعب . حسنا ، ألم يكن هتلر نمرا من ورق ؟ أوَ لم يطوح به . و قد قلت ، كذلك ، ان القيصر كان نمرا من ورق و ان الأمبراطور الصيني كان نمرا من ورق و ان الاستعمار الياباني كان نمرا من ورق ، و إنكم لترون أن جميعهم قد سُحِقوا . و الاستعمار الأميركي ، إنه لم يهو بعد ، و هو يملك القنبلة الذرية ، و أنا مقتنع بأنه سيهوي أيضا، لأنه هو كذلك نمر من ورق . و لقد كان تشيان كاي شيك قويا جدا ، و كان لديه أكثر من أربعة ملايين من القوات النظامية ، و كنا نحن ، آنئذ ، في ينآن ، و كم كان سكان ينآن ؟ سبعة آلاف نسمة ، و كم كان لدينا من القوات ؟ ٩٠٠٠٠٠ من الأنصار ، موزعين كلهم بسبب تشيان كاي شيك لم يكن إلا نمرا من ورق ، و إننا سندحره بدون أي شك . لقد صغنا ، في مجرى فترة طويلة و بغية مقاتلة العدو ، هذا المفهوم : علينا ، من وجهة النظر الاستراتيجية ، أن نزدري جميع الأعداء ، و علينا ، من وجهة نظر التكتيك ، أن نحسب حسابا كاملا لجميع الأعداء . و بكلمة أخرى ، علينا أن نهزأ بالعدو بمجموعه ، و لكن علينا أن نحسب حسابا جديا لما يخص كلا من المسائل المعينة . فإذا لم نهزأ بالعدو بمجموعه ، نرتكب خطأ الانتهازية . إن ماركس و انكلز لم يكونا إلا شخصين اثنين ، و قد سبق أن أعلنا في عصرهما أن الرأسمالية سيطاح بها في العالم بأسره . و لكن إذا لم نحسب حسابا كافيا للعدو ، فيما يتعلق بالمسائل المعينة و حول المسائل الخاصة بكل عدو على حدة ، نرتكب خطأ المغامرة . إن المعارك في الحرب لا يمكن شنها إلا واحدة فواحدة ، و إن العدو لا يمكن سحقه إلا قطعة قطعة ، و المعامل لا يمكن أن تبنى إلا واحدا فواحدا، و الفلاحون لا يمكن أن يفلحوا الأرض إلا بقعة فبقعة . و الشيء نفسه عندما يجري تناول وجبة من الطعام . إن أكل وجبة طعام ، من الناحية الاستراتيجية ، لا يخيفنا : إننا نستطيع أن نأتي عليها حتى نهايتها ، و لكننا حين نأكل ، نفعل ذلك لقمة فلقمة ، لأنه يستحيل علينا أن نلتهم وجبة الطعام كلها لقمة واحدة . و هذا ما يسمى حل الأمور واحدا بعد آخر ، و يسمى ، في اللغة العسكرية ، سحق العدو جزءا بعد آخر .

و حلل الرفيق ماو تسي تونغ ، في خطابه بمؤتمر ممثلي الأحزاب الشيوعية و العمالية للبلدان المختلفة الذي عقد في موسكو في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ ، الوضع الدولي في هذه الفترة و أشار إلى أن القوى الاشتراكية تتفوق على القوى الاستعمارية و أن الريح الشرقية تتغلب على الريح الغربية فقال :

إنني أعتبر أن الوضع الدولي قد بلغ الآن انعطافا جديدا . إن في العالم اليوم ريحين اثنتين : الريح الشرقية و الريح الغربية . ثمة حكمة صينية قديمة تقول : " إما أن تتغلب الريح الشرقية

على الريح الغربية ، أو تتغلب الريح الغربية على الريح الشرقية " و في رأيي أن ميزة الوضع الراهن هي أن الريح الشرقية تتغلب على الريح الغربية ، و هذا يعني أن القوى الاشتراكية قد أحرزت تفوقا ساحقا على القوى الاستعمارية .

و قال الرفيق ماو تسي تونغ في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ، و هو اليوم السابق لإلقائه الخطاب المشار إليه آنفا ، مخاطبا الطلاب الصينيين الذين يدرسون في الاتحاد السوفياتي :

إن اتجاه الريح في العالم قد تغير . ففي النضال بين المعسكر الاشتراكي و المعسكر الاستعماري ، إما أن تتغلب الريح الغربية على الريح الشرقية ، أو تتغلب الريح الشرقية على الريح الغربية . لقد أصبح عدد سكان العالم الآن ٢٧٠٠ مليون ، فمجموع سكان مختلف البلدان الاشتراكية ما يقارب ١٠٠٠ مليون نسمة ، و بلدان المستعمرات القديمة التي أحرزت استقلالها يفوق ٧٠٠ مليون ، و البلدان التي تناضل حاليا لأجل الاستقلال أو الاستقلال الناجز ، و كذلك البلدان الرأسمالية ذات الميول الحيادية تعد ٦٠٠ مليون . و إذن فإن سكان المعسكر الاستعماري ليسوا إلا حوالي ٤٠٠ مليون إنسان ، و هؤلاء ، إضافة إلى ذلك ، منقسمون داخليا ، و قد تُحدِث " هزة أرضية " هناك . و في الوقت الحاضر ، ليست الريح الغربية هي التي تتغلب على الريح الشرقية ، بل الريح الشرقية هي التي تتغلب على الريح الغربية .

و في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ ، أعلن الرفيق ماو تسي تونغ في الخطاب الذي ألقاه في مجلس السوفييات الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بمناسبة الاحتفال بالذكرى الأربعين لثورة أكتوبر :

أن المستعمرين يلتمسون النجاة في الاضطهادات التي يمارسونها إزاء شعوب بلدانهم و شعوب البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة ، و يبنون ، إضافة إلى ذلك ، آمالهم على الحرب . و لكن ماذا يمكنهم أن يتوقعوا من الحرب ؟ ففي مجرى نصف القرن الأخير ، عرفنا حربين عالميتين . و قد انفجرت بعد الحرب الأولى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا ، و انفجرت بعد الحرب الثانية الثورات العديدة في أوربا الشرقية و في الشرق . فإذا قرر المستعمرون "الأبطال" شن حرب عالمية ثالثة ، فلن يحصلوا إلا على نتيجة واحدة هي التعجيل بالانهيار الكامل للنظام الرأسمالي في العالم بأسره .

و في خطابه ((حول المعالجة الصحيحة للتناقضات داخل الشعب)) الذي ألقاه في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٥٧ في الدورة الحادية عشرة (الموسعة) للمؤتمر الأعلى للدولة ، قال الرفيق ماو تسي تونغ في القسم العاشر من خطابه تحت عنوان ((هل يمكن أن يتحول شيء سيء إلى شيء حسن ؟)) ما يلي :

و في الوقت الحاضر ، يناقش الناس في جميع بلدان العالم احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة ، و يجب علينا ، إزاء هذه المسألة ، أن نكون متهيئين نفسيا ، و أن نواجه الأمور بطريقة تحليلية . إننا إلى جانب السلم و ضد الحرب بصورة حاسمة . إلا أنه إذا ما أصر الاستعماريون على شن حرب جديدة ، فإن علينا ألا نخاف ذلك . إن موقفنا تجاه هذه المسألة هو نفس موقفنا أمام جميع "القلاقل" : أولا ، نحن ضدها ؛ و ثانيا إننا لا نخافها . إن الحرب العالمية الأولى قد أعقبها ميلاد الاتحاد السوفياتي الذي يبلغ سكانه ٢٠٠ مليون نسمة ، و الحرب العالمية الثانية أعقبها تشكل المعسكر الاشتراكي الذي يضم ٩٠٠ مليون نسمة . و من المؤكد أنه إذا ما شن المستعمرون ، بالرغم من كل شيء ، حربا عالمية ثالثة ، فإن مئات الملايين من الأشخاص سينتقلون إلى جانب الاشتراكية ، و لن يبقى في أيدي المستعمرون إلا أرض قليلة الاتساع فقط ، و سيكون الانهيار الكامل لكل النظام الاستعماري ممكنا كذلك .
و في شروط ما محددة ، يتحول كل واحد من المظهرين المتعارضين لتناقض ما ، بصورة حتمية ، إلى نقيضه بنتيجة النضال بينهما . إن الشروط ، هنا ، هامة ، فبدون هذه الشروط

المحددة ، لا يمكن لأي من هذين المظهرين المتعارضين أن يتحول إلى نقيضه . إن البروليتاريا ، في العالم ، هي التي ترغب أكثر من كل الطبقات الأخرى في تغيير وضعها ، و تعقبها في ذلك شبه البروليتاريا . ذلك أن الأولى لا تملك شيئا مطلقا ، و لا تملك الثانية إلا القليل من الأشياء . إن الوضع القائم الآن ، حيث تملك الولايات المتحدة الأكثرية في هيئة الأمم المتحدة ، و تشرف على العديد من مناطق العالم ، هو وضع مؤقت فقط . و سيأتي يوم يتبدل فيه هذا الوضع بالضرورة . إن وضع الصين ، من حيث أنها بلد فقير ، غير معترف بحقوقه على الصعيد الدولي ، سيتغير كذلك : ان البلد الفقير سيصبح بلدا غنيا ، و فقدان الحقوق سيصبح تمتعا بالحقوق ، أي أنه سيحدث تحول في الأشياء إلى أضدادها . فالشروط التي تلعب دورا حاسما هنا هي : النظام الاشتراكي و الجهود المبذولة من قبل شعب متحد .

و في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ ، عندما شن الاستعمار الأميركي ، بصورة مكشوفة ، الحرب العدوانية ضد كوريا ، و غزا أرضنا تايوان بالقوة المسلحة ، أدلى الرفيق ماو تسي تونغ بالتصريح التالي في الاجتماع الثامن لمجلس الحكومة الشعبية المركزية :

لقد أعلن الشعب الصيني منذ تاريخ بعيد أن شئون البلدان المختلفة في العالم يجب أن تدار من قبل شعوب هذه البلدان ، و أن شئون آسيا يجب أن تدار من قبل شعوب آسيا و ليس من قبل الولايات المتحدة . إن عدوان الولايات المتحدة في آسيا لن يؤدي إلا إلى بعث مقاومة واسعة و حازمة من قبل شعوب آسيا . و في الخامس من كانون الثاني (يناير) من هذا العام ، صرح ترومان أن الولايات المتحدة لن تتدخل في تايوان ، و قد أثبت الآن أن تصريحه هذا كان كاذبا ، و أحال إلى قصاصات من ورق جميع الاتفاقات الدولية الخاصة بعدم تدخل الولايات المتحدة في الشئون الداخلية للصين . و هكذا كشفت الولايات المتحدة عن وجهها الاستعماري ، كشفا مفيدا جدا للشعب الصيني و لشعوب آسيا . فليس ثمة أي مبرر لتدخل الولايات المتحدة في الشئون الداخلية لكوريا ، و الفلبين ، و الفيتنام و البلدان الأخرى . إن عطف الشعب الصيني كله ، و كذلك عطف الجماهير الغفيرة من شعوب العالم ، مُنصب على ضحايا العدوان ، و ليس على الاستعمار الأميركي بالتأكيد . و لن يسمح الشعب لنفسه بقبول الترغيب أو الترهيب من قبل الاستعمار . إن الاستعمار قوي في الظاهر ضعيف في الواقع ، لأنه غير مدعوم من الشعب . فيا شعب الصين و يا شعوب العالم اتحدي و استعدي استعدادا كاملا لإحباط كل استفزاز للاستعمار الأميركي .

و في ١٤ شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، أعلن الرفيق ماو تسي تونغ في الحفلة التي أقامتها السفارة السوفياتية في الصين احتفالا بالذكرى الخامسة لتوقيع معاهدة الصداقة و التحالف و المساعدة المتبادلة الصينية – السوفياتية :

إنني مقتنع أنه بالتعاون بين بلدينا العظيمين الصين و الاتحاد السوفياتي ، سيقضى على الخطط العدوانية للاستعمار قضاءا مبرما .

و في وسعنا جميعا أن نحسب أنه ليس ثمة أية خطط عدوانية للاستعمار لا يمكن إحباطها بالتعاون الكبير بين الصين و الاتحاد السوفياتي . إن جميع هذه الخطط سيُقضى عليها ، بالتأكيد ، قضاءا تاما . فإذا ما شن المستعمرون حربا عدوانية ، فإننا و شعوب العالم بأسره ، سنكنسهم حتما من على وجه الكرة الأرضية .

و قال الرفيق ماو تسي تونغ ، في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٨ ، في خطابه في المؤتمر الأعلى للدولة :

إن الوضع الراهن مؤات لشعوب العالم بأسره في نضالها لأجل السلم .
و إن الاتجاه العام يتسم بواقع أن الريح الشرقية تتغلب على الريح الغربية .

إن الاستعمار الأميركي يحتل أرضنا تايوان منذ تسع سنوات . وقد أرسل ، منذ وقت قريب أيضا ، قواته المسلحة لاحتلال لبنان(†) . و أقامت الولايات المتحدة مئات القواعد العسكرية المنتشرة في البلدان العديدة ، عبر العالم بأسره . إلا أن أرض تايوان الصينية ، و لبنان ، و كذلك جميع القواعد العسكرية الأميركية في البلدان الأجنبية هي مثل أنشوطات الإعدام الموضوعة في عنق الاستعمار الأميركي ، إن الأميركيين أنفسهم ، و ليس أحد سواهم ، هم الذين صنعوا هذه الأنشوطات و وضعوها في أعناقهم ، و أعطوا طرف الحبل إلى الشعب الصيني ، و إلى شعوب البلدان العربية ، و إلى جميع الشعوب الشغوفة بالسلم و المناضلة ضد العدوان في العالم بأسره . و بمقدار ما يتشبث المعتدون الأميركيون بمواقعهم هذه ، تضيق الأنشوطات التي تشد خناقهم .

لقد أوجد المستعمرون الأميركيون وضعا متوترا في جميع أنحاء العالم بقصد تسليط عدوانهم و فرض نيرهم الاستعبادي على شعوب العالم . و يحسب المستعمرون الأميركيون أن وضع التوتر مفيد لهم دائما ، و لكن هذا الوضع الذي أوجدوه يسير ، في الواقع ، بعكس ما يرغبون : لقد كان من شأنه أن عبأ شعوب العالم بأسره ضد المعتدين الأميركيين .

و إذا ما أصرت الفئات الاحتكارية في الولايات المتحدة على تطبيق سياسة العدوان و الحرب التي تسير عليها ، فسيأتي يوم لا مفر منه ، تشنقها فيه شعوب العالم بأسره ، و المصير نفسه ينتظر شركاء الولايات المتحدة .

و في ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٨ ، عاد الرفيق ماو تسي تونغ إلى بكين بعد جولة استطلاعية في عدد من مقاطعات حوض نهر اليانغتسي . و صرح في مقابلة صحفية مع أحد مراسلي وكالة أنباء شينخوا – الصين الجديدة – بما يلي :

لن يعيش المستعمرون وقتا طويلا ، لأنهم اقترفوا جميع المساوىء الممكنة ، و هم يقومون ، على الأخص ، بمساندة الرجعيين المسلطين ضد الشعب في مختلف البلدان ، وقد استولوا بالقوة على كثير من المستعمرات و أشباه المستعمرات و كذلك على العديد من القواعد العسكرية ، و هم يهددون السلم بحرب ذرية ، و على هذا النحو فقد أجبروا أكثر من ٩٠ بالمئة من سكان العالم على الوقوف ، أو على استعداد للوقوف ، في كتلة ضدهم . إلا أن الاستعمار ما زال حيا ، و هو يفرض ، حيث هو موجود ، سيطرته التي لا كابح لها في آسيا ، و أفريقيا ، و أميركا اللاتينية . و يضطهد المستعمرون في الغرب الجماهير الشعبية في بلدانهم ذاتها أيضا . و لكن وضعا كهذا ينبغي أن يتبدل حتما ، و يتوقف على شعوب العالم بأسره وضع حد للعدوان و الاضطهاد المرتكبين من قبل الاستعمار و بصورة رئيسية من قبل الاستعمار الأميركي .

---

* لم تكن هناك إحصائيات رسمية للسكان في ذلك الوقت و قد قدروا بأربعمئة و خمسين مليون نسمة . ثم أجريت الإحصائيات الحكومية لسكان الصين بعد التحرير فكانت النتيجة ٦٠٠ مليون نسمة – هيئة تحرير جريدة جينمينجيباو .

الملاحظات

(١) وانغ تشينغ واي قائد الموالين لليابان لدى الكومينتان و رئيسا للمجلس الاستشاري الشعبي ، استسلم للمعتدين اليابانيين بشكل مكشوف ، ففي مارس (آذار) ١٩٤٠ أصبح رئيس الحكومة المركزية العميلة التي تأسست في نانكين . و مات في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ في اليابان .

(٢) تشان كوه تاو أحد المرتدين عن الثورة الصينية ، و كان قد انضم الى الحزب الشيوعي الصيني بعد تأسيسه بقليل بقصد انتهاز الثورة ، و ارتكب العديد من الأخطاء الخطيرة التي لا تغتفر ، و من أكثرها خطورة أنه عارض عام ١٩٣٥ مسيرة الجيش الأحمر نحو الشمال ، و دعا، بروح انهزامية و روح التصفية الى الانسحاب الى مناطق الأقليات القومية في حدود سيتشوان و سيكان ، و فضلا عن ذلك تمرد بشكل مكشوف ضد الحزب و اللجنة المركزية بتأليف لجنة مركزية مزعزمة للحزب ، بغية شق

وحدة الحزب و الجيش الأحمر ، متسببا على هذا النحو بأذى خطير لجيش الجبهة الرابعة . و بفضل العمل التثقيفي الصبور الذي قام به الرفيق ماو تسي تونغ و اللجنة المركزية للحزب أثناء ذلك ، عادت جماهير الجنود و ملاكات جيش الجبهة الرابعة بعد قليل من الوقت و وضعت نفسها تحت قيادة اللجنة المركزية الصحيحة ، و لعبت دورا مظفرا في النضالات التي تلت ذلك . أما تشان كوه تاو فقد ظل غير قابل للإصلاح ، و في ربيع ١٩٣٨ هرب بمفرده من منطقة حدود شنسي – كانسو – نينسيا و أصبح عميلا لمصالح استخبارات الكوينتان السرية .

(٣) في نهاية أسرة التشينغ كان يوان شي كاي قائدا لأمراء الحرب الشماليين ، و بعد ان سقطت حكومة أسرة التشينغ بنتيجة ثورة ١٩١١ ، كان يوان كاي يستند الى قوات معادية للثورة و تأييد الاستعمار من جهة و يغتنم من جهة أخرى مسالمة البرجوازية التي قادت آنذاك الثورة ، فاغتصب وظيفة رئيس الدولة و نظم الحكومة الأولى لأمراء الحرب الشماليين ، و هي التي مثلت الطبقات الإقطاعية و الكومبرادورية الكبيرة . و حاول يوان شي كاي عام ١٩١٥ ان يصبح امبراطورا في الصين ، و بغية اكتسابه تأييد من المستعمرين اليابانيين ، اعترف بواحد و عشرين مطلوبا عرضتها عليه اليابان كي تستولي وحدها على الصين كلها . ففي كانون الأول (ديسمبر) من هذا العام نشبت انتفاضة يونان ضد يوان شي كاي الذي أطلق على نفسه لقب الامبراطور ، فتردد في كل أنحاء البلاد صدى واسع . و مات يوان شي كاي في حزيران (يونيو) ١٩١٦ في بكين .

(†) حدث ذلك ردا على قيام ثورة ١٤ تموز المجيدة في العراق كخطوة تمهيدية لغزو الجمهورية العراقية الوليدة ، حيث فكر الامبرياليون وقتها في بادىء الامر بالتدخل العسكري المباشر لاسقاط هذه الثورة . – ملاحظة الصوت الشيوعي .